وسيأتي تفصيل ذٰلِكَ فيما بعد.

النُّبُوَّة اصطفاء واخْتِيَار من الله عَزَّ وجَلَّ

النُّبُوَّة فضل وهِبَة من الله تعالىٰ لمن يشاء من عِبَاده، فلا تُنال بالكسب، ولا بتكلف العِبَادَة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتَهْذِيْب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تَأْثِيْر للمجتمع فيها[1].

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ - الحج ٧٥.

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ ﴾ - يُوْنُس ١٥.

وقال تعالىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ - النَّحْل ٢.

بشرية الرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل بَشَر، يأكلون ويشربون، ويجوعون ويعطشون، ويحزنون ويفْرَحُوْن، وينامون، ويمرضون، ويغضبون، وينسون، ويتعبون، ويستشيرون، ويتزوجون،... ونحو ذٰلِكَ من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم.

وإنما اختارهم الله عَزَّ وجَلَّ من جنس المُرْسَل إليهم، ليكونوا علىٰ صِلَة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين علىٰ ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحُجَّة الدامغة، بإيْضَاح الطريق المُستقِيم لهم. ودليل ذٰلِكَ:

---

(١) انظر: لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُوْرِيّ ص٢١١ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيْف ج٨ ص٢١٨ وشَرْح المَقَاصِد للتَّفْتَازَانِيّ ج٥ ص٥و٨ ونِهَايَة الإقدام ص٤٦٢.

أولاً: من القُرْآن الكَرِيْم:

أ- قوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾- التوبة ١٢٨.

ب- وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَت ٦.

ج- وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ ﴾ - الأعراف ١٨٨.

د- وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ ﴾ - الرعد ٣٨.

هـ - وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۚ ﴾ - الأنعام ٥٠.

ثانياً: ومن السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

أ- حَدِيْث أبي مَسْعُوْد قال: أتىٰ النَّبِيَّ ﷺ رجلٌ فكلَّمه، فجعل تُرْعَدُ فرائصُهُ، فقال له: هَوِّنْ عليك، فإني لستُ بملِك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القَدِيْد[1].

ب- قوله ﷺ: (إنما أنا بَشَر مثلُكم أَنْسَىٰ كما تَنْسَوْن، فإذا نَسِيْتُ فذَكِّروني)[2].

---

(١) **حَدِيْث أبي مَسْعُوْد** في: سُنَن ابن مَاجَة في: ٢٩ كتاب الأطعمة، ٣٠ باب القَدِيْد، رقم ٣٣١٢ ج٢ ص١١٠١. وقال الشَّيْخ شُعَيْب في تَحْقِيْقِهِ سُنَن ابن مَاجَة ج٤ ص٤٣٠: صَحِيْحٌ ورِجَاله ثِقَات.

(٢) **حَدِيْث: إنما أنا بَشَر مثلكم**... إلخ، في: صَحِيْح البُخَارِيّ في: ٨ كتاب الصلاة، ٣١ باب التوجه نحو القِبْلَة، رقم ٤٠١، بهٰذَا اللفظ، عن عبد الله بن مَسْعُوْد. وفي صَحِيْح مُسْلِم في: ٥ كتاب المساجد، ١٩ باب السهو في الصلاة، رقم ٥٧٢، عن عبد الله بن مَسْعُوْد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج- تواضع الرَّسُوْل الأعظم ﷺ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذٰلِكَ.

د- عبوديته ﷺ لله تعالىٰ الظَّاهِرَة في كلامه وأدعيته، كما في قوله ﷺ: (اللهم إني عبدُكَ وابن عبدك، ابن أَمَتِكَ، ناصِيَتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمُك، عَدْل فِيَّ قضاؤك)[1]، وأمثاله كثير.

فَوَائِد وقوع الأعراض البَشَرِيَّة بالأنبياء:

تقدم أن الأنبياء بَشَر، يقع عليهم من الأعراض البَشَرِيَّة كالابتلاء والمرض والنسيان والفقر... إلخ ما يقع علىٰ سائر الناس، إلَّا أن لوقوع هٰذِهِ الأعراض بالأنبياء فَوَائِد تتلخص بما يأتي:

١- تَعْظِيْم أُجورهم: فالبلاء والأمراض يترتب عليه الأجر العَظِيْم، لهٰذَا قال النَّبِيّ ﷺ: أشد الناس بلاءً الأَنبياءُ، ثم الأَمثَلُ فالأَمثَلُ[2].

وقال الإمَام القُشَيْرِيّ: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، إذ البلاء للأَوْلِيَاء، وأما الأجانب فيتجاوز عنهم، ويخلي سَبِيْلهم[3].

واللهُ تعالىٰ وإن كان قَادِراً علىٰ أن يعظِّمَ أجورهم من غير ابتلاء ومشقة، إلَّا أن حكمته تعالىٰ اقتضت ترتب ذٰلِكَ علىٰ الابتلاء ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ - الأنبياء ٢٣[4].

---

(١) حَدِيْث: **اللهم إني عبدك**... إلخ، رواه أَحْمَد في مُسْنَده ج١ ص٤٥٢.

(٢) شَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١٨٥-١٨٦ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠. وانظر: شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١.

وحَدِيْث: **أشد الناس بلاءً**... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَد والبُخَارِيّ والتِّرْمِذِيّ وابن مَاجَة، عن سَعْد، وهو صَحِيْح. / الجَامِع الصَّغِيْر ص٦٩.

(٣) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠.

(٤) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه

٢- التشريع: فسهو رَسُوْل الله ﷺ في الصلاة تشريع للناس، وتَعْلِيْم لهم كيفية سجود السهو، لأن دلالة الفعل أقوىٰ من دلالة القول[١].

٣- التَّسَلِّي بأحوال الأنبياء، إذا نزل بنا ما نزل بهم: فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء، من مرض وأسقام، وقلة مال وأذىٰ الناس لهم، مع عُلُوّ مقامهم ورفعة شأنهم، فإنه يتسلَّىٰ ويتصبر، فلم يحزن علىٰ ما نزل به من بلاء[٢].

٤- تَنْبِيْه غير الأنبياء علىٰ خِسَّة قدر الدنيا عند الله تعالىٰ، حين يرون الأنبياء قد أعرضوا عنها، وانصرفوا عن ملاذها ومغانمها[٣].

وذم الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالىٰ، وعليه يحمل قوله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكْرَ الله وما والَاهُ وعالماً أو متعلماً) أي: من التسبيح والتحميد والتهليل.

أما الدنيا التي لم تشغل عنه فلا ذم فيها، بل هي مَحْمُوْدة، وعليه يحمل قوله ﷺ: (نِعْمَ الدنيا مطيَّةُ المُؤْمِن، بها يصل إلىٰ الخَيْر، وبها ينجو من الشر).

وبذٰلِكَ يعلم: أن الدنيا ليست مَحْمُوْدة، ولا مذمومة لذاتها[٤].

ص١٨٥-١٨٦.

(١) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٠.

(٢) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر وحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص١٠١-١٠٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ وحَاشِيَة الدُّسُوْقِيّ عليه ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣١.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِيْر ص١٠١ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ ص١٨٥ وشَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣١.

(٤) شَرْح السَّنُوْسِيَّة للبَاجُوْرِيّ ص١٣٢ وشَرْح أُمّ البَرَاهِيْن للسَّنُوْسِيّ السَّابِق.

وحَدِيْث: أَلَا إن الدنيا ملعونةٌ... إلخ، في: سُنَن التِّرْمِذِيّ في: ٣٣ كتاب الزهد، ١٤ باب منه، رقم ٢٣٢٢، ص٣٨٣، عن أبي هُرَيْرَة، وقال: حَدِيْث حَسَن غَرِيْب. وفيه: (... إلَّا ذِكْرُ الله

تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

وهم جَميعاً يشتركون في قدر وَاحِد وهو: النُّبُوَّة.

ولذا اتفق عُلَمَاء الإسلام جَميعاً علىٰ كفر من كذَّب نَبِيّاً مَعْلُوْم النُّبُوَّة، وكذا من سب نَبِيّاً أو انتقصه، ويجب قتله. بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ - النساء[1].

القُرْآن الكَرِيم والكتب السماوية الأُخرى

أُصُوْل الرسالات السماوية وعَقَائِدها وهدفها وَاحِد، وهو: توجيه البشر إلىٰ طريق الصَّلَاح، قال تعالىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ - الشُّوْرَىٰ ١٣.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ - النساء ٥٩.

ولذٰلِكَ طلب القُرْآن الكَرِيْم الإيمان بجميع الرسل، وما أُنزل عليهم من كتب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ - البقرة ٤.

(١) لَوَامِع الأَنْوَار البَهِيَّة ج٢ ص٢٦٣.

لٰكِن الإيمان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية - ومنها الإنجيل والتوراة والزبور -، إنما يراد به التَّصْدِيْق بأن هٰذِهِ الكتب كانت من عند الله تعالىٰ، وكانت صَادِقَة، وما جاءت إلَّا للغرض الذي جاء لإتمامه القُرْآن. فما جاء بها مخالفاً لما في القُرْآن الكَرِيْم فهو مُحَرَّف قطعاً، لا يعوَّل عليه.

وهنا لا بد أن نبين **أهم فُرُوْق القُرْآن الكَرِيْم عن الكتب السماوية** فيما يأتي:

١- الكتب التي نزلت قبل القُرْآن ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ منها إلَّا ترجمتها.

أما القُرْآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته، التي أنزلها الله تعالىٰ علىٰ نبيه مُحَمَّد ﷺ، ووصل إلينا بهٰذَا الشكل متواتراً.

٢- اختلط كلام الناس من فُقَهَاء أو مُفَسِّرِيْن أو مؤرخين بتلك الكتب.

أما القُرْآن فلم يختلط به شيء حتىٰ من كلام رَسُوْل الله ﷺ. ولقد منع النَّبِيّ ﷺ من كتابة الحَدِيْث في بِدَايَة نُزُوْل القُرْآن، لئلا يختلط الحَدِيْث بالقُرْآن. وكتب التَّفْسِيْر والحَدِيْث والفِقْه مستقلة تَماماً عن القُرْآن، كما هو معروف.

٣- لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تاريخي أن أيّاً من هٰذِهِ الكتب الموجودة الآن نزل علىٰ النَّبِيّ الذي نسب إليه ذٰلِكَ الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به.

أما القُرْآن فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل علىٰ مُحَمَّد ﷺ، وأن آياته منها ما عُيِّنَ مكان نُزُوْله أو زمنه أو سببه.

٤- لُغَات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طَوِيْل، فلم نجد متكلماً بها، بل إن من يفهمها قليل جداً.

أما لُغَة القُرْآن الكَرِيْم فهي لُغَة حية يتكلم بها إلىٰ الآن مئات الملايين من المُسْلِمِيْن في أقطار العالم المُخْتَلِفَة.

٥- أَحْكَام كل من الكتب القديمة - كما يبدو من قِرَاءتها - خاصةٌ بالزمن وبالأُمَّة التي نزل فيها ذٰلِكَ الكتاب، جاءت تلبية لحاجاته ووفق أحواله.

في حين أن أَحْكَام القُرْآن عامة لجميع الناس ولكل زمان.

٦- كل من الكتب القديمة وإن كان فيه من الدعوة إلىٰ الخَيْر والصَّلَاح والأخلاق، فإنه لم يستوفِ الفَضَائِل.

لٰكِن القُرْآن استوفىٰ الفَضَائِل كَامِلَة، سواء نُصَّ عليها في الكتاب القديم أم لم يُنَصّ.

٧- تسرَّب إلىٰ كل من الكتب القديمة التحريف، والأُمور التي لا توافق العقل، وتقوم علىٰ الظلم، بل تحوي أُموراً من قبيل الفحشاء والمُنْكَر.

أما القُرْآن فإنه صَلَاح كله ومنزَّه عن الفاحشة وليس فيه ما يخالف العقل[1].

٨- الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي.

أما الشَّرِيْعَة الإسلامِيَّة فقد وضعت المبادئ الكفيلة بحلِّ مشاكل الإنسان وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان.

هٰذِهِ المزايا هي التي لأجلها أمر الناس باتباع القُرْآن وحده دون سواه.

---

(١) انظر: مبادئ الإسلام ص٨٠-٨٤.

وانظر الفصل الذي كتبه العالم الجَلِيْل رحمة الله الهِنْدِيّ في كتابه (إظهار الحق) الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القُرْآن.